مصطفى رحماوي

إنسانيُّ الهوية

قصائد نثرية

إنسانـيُّ الـهوية

مصطفى رحماوي

الكتاب : إنسانيٌّ الهوية

النوع الأدبي : خواطر / قصائد نثرية

المؤلف : مصطفى رحماوي

اللغة : الفصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني : المؤلف

تصميم الغلاف : المؤلف

سنة التأليف : 2016 – 2017

الإصدار : الأول 2021

أمشى ضاربا فى الحجر

أضمُّ النجوم إلى عينِ الأملْ
فليس لديَّ فسحةٌ لنجوم مُبتكرَة
أجهزُ حياتي بما قد يتُاحُ
فلا رغبة لي في حياةٍ مُحتكرَة

لا أبالي وربما فوضوي
وتراني حينا أرتبُ وأضبِطُ !
مثلَ قاطعِ الخشبْ
يُسقط الأشجار دونما اهتمامٍ
وحينَ يقرّرُ الرحيلَ
تراهُ يجمع الحطبْ ويَرْبِطُ
ربَّما يبيعها ليشتري حاجياته
ربَّما تدفئهُ من هجرِ الرفاقْ
ربَّما يصنعُ قاربهُ للحرية
ليدخلُ بحرًا، يُجاملُ حينًا بمناظرهِ
وحينًا يعلو، يعصفُ، يخبطُ
لا يعلمُ ولا أنا أعلمُ
إن كان هذا بحرُ وحشيٌّ
وعدواني، أو كالشعر المدللِ
بين الأيادي يسبطُ
لكني أتركه يرتاحُ من عملهِ اليومي
وأترك فيه مِثالي. وأجلس قربهُ

وأرمي سنارتي في ذلك البحر،
مرَّةً تهرب مني خيراته
ومرَّةً عليها أقبِطُ
وإن كان المرادُ لم نحصدهُ
وما اشتهيناهُ
إلا أننا نسينا مشهد الحياةِ التي تُحبِطُ

أمشي ضاربًا في الحجر
متأقلمًا بجراحي و ندوبي
دون أن أحلم بطريقٍ مُعبدْ
هنا أمشي أنا حرًّا
وفي سجنٍ مُؤبَّدْ،
ويمرُّ مخمورٌ من جانبي
قبل أن يتهاوى على الأرضِ وتلتقطهُ،
شتمها واتهمها وعَربدْ!
ومرَّ مسنٌّ متحسرٌ يدمدمُ
من قال أن الأرض قاحلة؟
من قال أن العالم أربَدْ؟

يقالُ أن الوقت مشكلتنا
أنَّ الوقت لا ينفذْ
لكن كل شيءٍ فيه ينفذْ
ويبقى هو مكانهُ
وقبل أن نحصي كيانهُ

يحصي كياننا وسلالتنا

وقبل أن يطوع لأوامِرنا

تُستنزف قوتنا وجلالتنا

نحن والوقت رفاق الدَّرب

نصنع فيهُ ولا نصنع منه

نصنع فيه ويصنعُ منا

لا نحتكرهُ كحرفتنا، كآلتنا.

لا توعُّكَ في الوقت،

هو سليمٌ منذ اهتممنا بهِ!

لا عطبَ فيه ولا علَّة

منذ أن رمينا عليه فشلنا

ولم يسلم إلا من أصابع القلة.

عدمُ تمثلنا أمام الآفة عالتنا

ونرسمُ أنفسنا ملائكة مظلومين

على شخصياتٍ كالغيوم البيضاءْ

ترفعنا، والتبريراتُ تكون هالتنا

إلا إننا... إننا إلا

أتركني في صوابي وأترك الوقت

لأُبقي عليَّ وأُبقي على الوقت

لا أحد يدري ولا أنا

لما أنا دون غيري

أنزل من سنةٍ لأخرى

ومن مكانٍ لآخر ومنّي

منذُ أن كنتُ أركض فرحًا
حالمًا بسنّ أبيضَ قوي
إلى أن تعلمتُ أن اقتلعَ سِنّي
إلى أن كبُرتْ أحلامي عارًا
وكبُرتْ أحلامَ الآخرينَ نارًا
تحرقني كلما التقينا!
من ينزغ هذه الحروق عليَّ؟
حتى أنا أكادُ لا أستطيع، أن أقول:
إنّي فاعلٌ، أنّي قادرٌ
في الأخير أبقى عالقًا بين:
أريدُ، لكني...
وينتهي أجلُ النوم والحلم
وترنُّ ساعة المنبهِ دون استجابَة
أمدُّ الحلمَ لبعض الوقت
وفي ثنايا الصور الجميلة
أقول في ضميري الداخلي:
يا ساعة المنبهِ
امنحيني فرصةً ثانية ورنّي
ولأني، وأني...
بدون جدوى متأخرًا أصحى
وأجدُ النهار وقد أضحى
أمشي ضاربًا في الحجر
متأقلمًا بجراحي وندوبي
أعود كالعادةِ خاليَّ اليدينِ

بلا رزقٍ كنت طلبتهُ

ولا مُلطخَ اليدينِ

ليظنَّ الناسُ أني في فسحة!

ربما أسلمُ من تأليف الحكاياتِ عني.

يَثني علي الماروَن والمعارف؛

لكَ السعادة يا هذا ما أنتَ بمُتعبٍ

ولا أنتَ ذائقٌ من تعبنَا

ولو يعلمونَ من أنا وما بي

لظنّوا أني من القتلى أو الجرحى

أنسى الأمر وأطلبُ قهوةً سوداء

واجلسُ يائسًا مع كراسي المقهى

نشاهدُ ما يعرضُ ونقرأُ الفصحى

وهكذا ينجلي النهارُ كما أضحا

حلمان: الطائرة والحبيبة

رأيتُ الطائرَة

فرحتْ عينيَّ الحائرَة

رأيتُ الحُريَّة

تُبْعِدُ عن الأحكام الجائرَة

رأيتُ جناحيّ الطائرَة

رأيتُ رئتينِ

وأنظر إلى رئتيَّ المحترقتينِ

وأضعُ السجائرَ

اقتربتْ الطائرَة

وخيبةُ الأملِ... مَسَحْتُ

لكن ضعف الحال عبَّرَ: ما سَمَحْتُ

وباتت أحلامي غائرَة

ابتعدت الطائرَة

عدتُ لبيتي، أغلقُ الغرفة

أنظرُ من الشُّرفة

رأيتُ حبيبتي تصنع الضَّفائرَ

رأتني أغلقتْ الستائرَ!

عدتْ أسألُ نفسي، ما خطبي؟

وما له حظي جامدٌ كالقطبِ؟

وعدتُ أحاور السجائرَ!

أفكرُ في حدود إسبانيا والجزائرَ

وأتذكرُ الأمَّ والأبْ

وشرطةً تُمسك من هبَّ ودبْ

تَوَهُّماً، أنتظرُ الطائرَة

أنتظرُ حبيبتي، وأناديها شَعائرَا

لعلَّها

أقول لها.

" سأعملُ حبيبتي وسأوفرُ الذخائِرَ

سأخرجُ من فشلٍ أصبح يشبهُ الدوائرَ

وسيكون لنا منزلٌ

وأتذوقُ من يديك أحلى الفطائرَ. "

واقفٌ أمام بيتها، تحت الشبَّاكِ

أغني لها. وأرحلُ

إلى فراشي لأحصي الخسائرَ

نفسي على الحالِ ثائرَة

وحبيبتي على الحبّ ثائرَة

والطائرَة، الطائرَة

دائما تمرُّ عليَّ

أنظر إليها ولا تنظرُ إليَّ،

وحياتي مطارٌ

تمرُّ منه الطائرَة

وما حبيبتي إلا زائرَة،

وأسقطُ متهاوياً

دون أن أركبَ الطائرَة

أو أعانقَ حبيبتي التي تصنعُ الضفائرَ

الامتنان للأم

يا أماه، إني مرهقٌ
ضعي يدكَ على جبيني
ودعيها تُربّتُ
لولا يديكِ
ما كانتَ مشاعرُ الطفولةِ
من كبري تُنْبِتُ!
أجري - أماه - في وجودي،
وهنا أنفي، وهنا أُثبِتُ
والحياةُ فوضى يا أماه
ماذا عسى أزيلُ؟
وماذا عسى أُثبّتُ؟
ضئيلٌ أنا في الفضاءِ السحيقِ
ومن أراد عطراً لجذب العاشقينَ
صبرَ على ما تجذبه ملذاتُ الرحيقِ
أقولُ لعينينِ يتجولانِ
بين المُقبلِ والغابرِ والمغادرِ
إلى حاضري عُودَا
الحاضرُ مبعثرٌ، متفاوت
والتقاطهُ لن يضيع سُدى.
أماه ألا يكفي أن تحكي لي قصَّةً
وأنت لم تتعلَّمي معنى السَّرد
أنا في شبابٍ قصيرٍ تعبتُ

أرمي نفسي بلا غطاءٍ
وأنت لم تتعبي منذُ طفولتي !؟
لتغطيني خوفًا عليَّ من البرد
تزرعينَ داخلي ما نسيتُ
كلَّما جردني الألمُ من نفسي أشدَّ جرد
أماه ماذا أهديكِ؟ أنا ككلّ فرد
لا أعرفُ عن الحبّ
إلا بضعَ كلماتٍ وباقةَ ورد
أماه حياتك أجملُ فردوسٍ
حظيتُ بها ومضيتُ فيها
وأخشى دائمًا يومَ الطرد!
وأخشى دائمًا يومَ الطرد!

هكذا جاء في نصوص التعايش !

ـ عالمي أكثر بشاعةَ

ليس مبالغةً أو إشاعةَ

ـ المالُ كافي لأن تأخذوا ما شئتم

من بشرٍ وبضاعةَ!

ـ لا داعي لاحترام الباعةَ

ـ الغنيُّ أطعموه حد التخمة

والجائع لا تهتموا إن جاعَا

.. ولا تهتموا لي، فأنا لستُ من الأغنياء

أو الذي جاعَا.

يومًا كانت صحتي في خطرٍ، بين المرضى

كان الطبيب لا يفحصُ أحداً

أكثر من فحص نظافة الوزرة والسماعةَ!

يقول مالُ-كم، مالَكم يا أغنياء تأخرتم

خذوا سريركم

أمَّا أنتم يا مرضى، فأنتم أقوى مناعةَ!

تعبتُ، فسِرت أتعلم، ربما العلم يشفي!

قال الأستاذْ:

أصغوا لي

واجمعوا ما أرمي لكم من معلوماتٍ

وشرح الرذاذْ!

وحولوّه إلى نهرٍ له فروع، لا تنسوا البراعةَ

حتى يسقي مستقبلكم

واجعلوا فكركم كمساحيق الغسيلْ!
يُخرج الكثير من القليلْ!
من حفنةٍ تخرج ألف فقاعَة.
لا يهمني إن فهمتم أم لا
كثيرة عليكم هذه الساعَة!!
هيا، اخرجوا من القاعَة،
إذا نَقص شيءٌ ابحثوا عنه
في الكتبِ أو آلة الطباعَة.
وقولوا حاضر يا أستاذ
فالاحتجاجُ يهدد سلامة النقاط
فخيرٌ لكم الولاء والطاعَة.

- عالمي أكثر تمييزْ
- فالأنسابُ أهم من الأقوال
فما الأقوال إلا حياة نعيشها،
أما الأنساب تستحق التركيزْ!
- واقعنا لن يتغيَّر
يلزمه قرونٌ من الوعي
وعقود من التجهيزْ
- الأجناس مصدر الإعجاب والحب!
فقط إذا كنت عكس جنسهم وجنسيتهم
تجد منهم التحفيزْ.
- البقالُ صاحب المحل الضيق
والطابور الصغير، لا يحتاج أموالنا

وصاحب الطابور الطويل

يحتاج منا التعزيزْ!

هكذا جاء في نصوص التعايش

هذا ما صار الواقعْ

وهكذا استلمنا البضائعْ!

ماذا تنتظرون منا؟

هكذا كانت قراءةٌ غير القراءَة

هكذا احتضر الذكاء وانسحبت البراءَة

هل هناك أكثر من هذه الإساءَة؟

كم يجب أن نخفي هذا الواقعْ

الخالي من الروائعْ

في سواد العباءَة

كيف ننسى ونحن مللنا

الوجه المبتسم والأخلاق البناءَة!

تشتعل بي نار وتتصاعد

أتموجُ كثوبٍ رثٍ مهملٍ
معلق على الحبلِ
لا أدري من نسجني لأتمزَّقَ
ومن قدَّمني للشمس، للريح
للندى، من أهملني فوقَ
الحبلِ
أسأل من أي جلدٍ صنعتُ
لتكون الضرباتُ علي إيقاعاً
لا يشبه إيقاع المعازفِ والطبلِ
يصدح متقطعاً بين الأنينِ والآهِ
وما ملأَ صوتٌ هذا المكان قبلي.

ومعي اثنان أخشاهما، أحدهما
إذا قدَّمْنا له الماءَ، رشنا
بما ليس يروينا.
وإذا أشرنا إليهِ يزيدُ بَطشَا
وأحدهما يبللُ نفسه! في لحظة تمكُّنٍ
ويملأ تشقق جلدهِ ويتركنا عطشى

تشتعلُ بي نار وتتصاعدُ
والناس
ترقصُ قربي ظنا منهم

شعلةَ احتفالٍ! لا هم يُريحوني

ولا هم ساعدوا

يحيطونُ بي، لا يعمرون إلا بالضجيجْ

قاتلينَ نوري الأخيرْ

وحظي في الغيرْ

إذ هم مانعين وصول الأجيجْ!

كسورٌ ليست لها جبيرة

الوضعُ المحزنُ المُبكِ
يمضي بي إلى قهقهةٍ وعبثٍ
ومن حكيمٍ إلى بهلولْ
يضاعفُ الجاذبية والبدائية
ويبقيني مُقعداً ومشلولْ
ومن ذا - الأمينْ - الذي يسمعُ
في القهقهة نبرة الأنينْ
ويلمحُ آمالاً تذوب مطراً
بدل دموعٍ مالحةٍ وتشاؤمِ
في الوجه المبلولْ!
من ذا يستخرجُ من نظرتي لغةً
ومن صمتي مدلولْ
أخرجُ داكن الوجهِ
وإن كان اليوم مشمسْ
أستحضرُ ما أوتيتُ من أزماتٍ
وبالفرضياتِ أهمسْ
أحلُّ ربعاً و أؤجلُ رُبعاً
ونصفٌ يستعصي
إذ أحفرُ وجداني وأدمسْ

وتمرُّ بي امرأةٌ تبدو كبيرة
وأحسبها سراباً أو دليلاً روحيًّا

أو انعكاساً لأحزاني التي شاختْ
ولكنها ما تزالُ حية وخبيرة
تقول؛ انهض وابتر أجزاءك المكسورة!
فإنَّ كسورك يا بنيَّ ليستْ لها جبيرة.

وتمرُّ بي شابتان تقهقهانِ
وأقول في نفسي يظنكما الناس
طائشتانِ، كما يظنوني أهبلْ!
وإنما تستغلانِ لحظة فرحٍ
قبل أن تُسرق منكما وأنتما صادقتانِ
وأنا الكاذبُ وإن كنت أنبلْ.
وأنتما كالوردة تزهرُ قدر ما استطاعتْ
وتستغلُ ضوء الشمسِ وتجوُّل النحل!
قبل أن ينتهي شبابها وتذبُلْ.
وأنا مخادعٌ، كاذبٌ
أعلم أنَّ الشباب يمضي
لكني بهذا الوضع المحزنِ المُبكِ أقبلْ!
أحاول أن أفرح مع أنسة أجملُ مني
دون أن تأتِ في مفكرتي
بأنها الضلع الأعوجْ
أريد أن أفرح بكل عفويةٍ
أغني بصوتي المُتعرجْ
وأضحكُ بهيستريا كالمهرجْ
وأقول أشياء غريبةً

دون أن يراني الناس كالأهوجْ

إني مُحتاج إلى الخروج عن المعتادِ

إني إلى حياةٍ أكثر بساطةٍ أحوجْ.

الرافدين

كم كنا احرارًا، كم كنا سعداءْ

لا ألمَ في القلب يسكُنْ

لا ذكريات سوداءْ

ولا حزن يَسجُنْ

يا ليتَ الطفولة تعودُ بين أحضانِ الوالدينْ

الرافدينْ... وأنتَ الأرضُ بينهما

أتذكر أول خطواتك وأنت تتعثرُ

أتذكر عندما يُحطمكَ البشرُ وتتأثرُ

أتذكرُ لَمَّا أفكاركُ تتبعثرُ

من غيرهما يكون معك؟ ويمدُّ يده إليكْ

لا أحدَ غيرهما يوجّهُكَ أو يُريكْ

أتذكر عندما تتسخُ ثيابك

من غيرها ينظفُها؟

أتذكرُ من كانت تُخفي

أسراركَ وخطاياكَ ولا تكشفُها؟

هل كنتَ تنصفُها؟

وهي سهرتَ عليكْ

وعيونها لم تكن تنامْ،

هي من كانت تضمّدُ جراحكَ

حتى لا تزيدَ الآلامْ

حلمها أن تعيشَ في سلامْ!

إنها أمُّكَ

أتذكر؟ .. أتذكرْ!

من يوفرُ لك الاحتياجات

من يأمّنُ لك الحياةْ

من يعملُ أوقاتًا وأوقاتْ

حتى لا تكونَ حياتك مأساةْ

من غيرهُ أبيك؟

هل تحزنْ؟ لا عليكْ

فالحزنُ لا يجعل الأيامَ تعود إليكْ

ما هذا الغرورُ الذي أنسانا؟

هذه المكانَة

التي أعطيانَا

وأنتَ مع الناسَ تتسلى

والمسؤوليةَ لا تتولى

لا تفكر أن حياتهما تتجلَّى

في أن يواجهوا الحياة نيابةً عنك

حتى لا تتدلى

إلى حياة البؤساءِ

فلا تتخلى عنهما، لا تتخلى

وبالصبرِ معهم تحلى

أترى تلك الشمسْ؟

طلعت يومًا كنت صغيراً

وقالت لك أمُّك في الهمسْ

ستكبرُ يومًا.. وها أنتَ اليوم

لا تفكرُ في من ربياك في الأمسْ

إذا كانوا قربك تمسَّك بهما تَمسَّكْ

بمن اختاروا لك اسمَكْ...

تَمسَّكْ بمن لم يدعوا كرهً يمسَّكْ.

عراقيل

قالوا كوكبنا الأرضُ،
قالوا نوعنا البشرُ،
وفي نظرتي الأولى إليهِ سئمتُ!
وفي خطوتي الأولى إليه هرمتُ!
إذا أصبح العقلُ كهلْ
فما بات المسارُ سَهلْ
سُرعان ما نفقدُ الرّفاق
وتتمدَّدُ المسافاتُ مع الأهلْ
وأنا أستغربٌ من محيطي
وكيف الكلمة تثيرُ الوَهَلْ!
أما يحقُّ للإنسان أن يفصح
عن نهر منهُ نَهلْ؟
آهٍ، إذا أصبح العقل كهلْ
فما بات المسار سهلْ
أسير معهم، ولا أُسابقهم،
أمشي على مهلْ
وأسير وأقتات من الفتاتِ،
فتاتِ معارفٍ قضى عليه الجهلْ
نرتفعُ في سماءِ الفِكرْ
ونسقطُ أمام وجعِ لُغتنا الحاملْ
دونَ أن تلدَ ابنها البِكرْ

نحمل أنفسنا بعيداً عن الصُّراخ
ويأتِ ضجيجُ الأفواهِ
التي لا تتوقفُ عن الذِكرْ

الماضي عراقيل
يُخضعك لما حدثَ ولما قيلْ
الماضي كان حياةً للموتى
وكان لنا نوم ثقيلْ
ما عدتُ أستطيع إخفاء
هزَّاتي وبراكيني
وجميع ما في داخلي من كوارثْ
وما في مساراتي من كوارثٌ
ما عدتُ أريد إخفاءَ مَحاصيلي
لم آتِ إلى هنا لأكون
المُورّثَ أو الوارِثْ
إذا ما ألقيتُ الكلمات
تهتزُّ الأمية، تثور الأمية
وأنسحبُ كما تنسحبُ كلماتي
في فوضى وجلبَة
وأُعزلُ، أُنفى في ذاتي
لأني لا أؤمن بالأغلبية والغلبَة
فما إن أُبادِرُ بالحديثِ
حتى يحيطَ بي جمهورُ الحلبَة!
ما هذا التجمُّعُ؟

الذي يأخذ شكلَ السلحفاة
لا يعرفُ كيف يعودُ إذا انقلبَا إ؟

لُغتي صارخةٌ ومكشوفةٌ
ليس فيها غموضْ
تُلخص الحروبَ التي أخوضْ
تلخصُ حُلم إنسان حالمْ
واخضرار روضْ.
لغتي عودةُ شبابِ الشيخوخة!
وعصى النُهوضْ.

أما آن موعدنا؟ أما تأخرَ موعدنا ؟
على صنعِ نسخةٍ مصغَّرةٍ
للحياةِ، لا جنة عدنْ!
فقد أنهكنا النَّوم الطويلُ
واللغو الكثيرُ،
كَسُلَ العقلُ وتهاوى البدنْ.

طفلة بأعين من دموع

طفلةٌ بأعين من دموعْ
تستند إلى الحائط مُختبئَة
ضعفاً وخجلاً من شكلها!
ومن ملابسها المُهترئَة
تنظرُ إلى الناس
كأنما ليسوا من أبناء جنسها
كأنهم من عالم ثانٍ
وعيونها بالدمع مُمتلئَة

انهارت من الجوع
بين دراعي أمها محمولة
تنظر وتلاحظْ
أطفالاً في سنها
يحملون المحافظْ
وضعتها أمها فلامست أقدامها
سطح الأرض
فإذا بها تنظر إلى غرفة
أكبر من منزلها، بيضاءُ الجدران
مسكتها يدٌ بيضاء برفقْ
فأخافتها وأفزعتها!
فرَّت إلى أمها وعانقتها
كأنها تقول: يا أمّي

ضميني إليك ضمّي

وعادت اليد وبرفقٍ نزعتها

تبادلت النظرات مع أمها

حتى اختفت

فإذا بها في غرفةٍ أخرى بيضاءْ

مع رجلٍ بشوشْ

تنظر إليه باستغراب

بعيون من رموشْ

فحصها، كتب لها الدواءْ

لكن ليس مع أمها قروشْ!

على ظهر أمها عادت ونامت

زاد الألم واستيقظت باكية

صُراخها أوجع أمها،

تبحثُ أمها عن المنقذ

في مستشفيات البلدية!

وهي تحمل طفلةً باكية

وتكتسي ثيابا بالية

تضرب بأقدامها الحجرْ

تتحمل الريح والمطرْ

واستهزاء البشرْ!

هي طفلةٌ بأعين من دموعْ

هي عائلَة!

هي منازلٌ هشَّةٌ، مائلَة

هي أحلامٌ زائلَة!

الذهبُ الأحمرْ

قلبٌ يخفقُ طالبٌ للحياة

وجسدٌ ممدودٌ على الفراشِ ضعيفْ

أصابهُ حادثٌ

فبدأ دمائه بالنزيفْ!

تساقطت حظوظه في النجاة

كما تتساقطُ أوراقُ الشجر في الخريفْ

عيونه إلى الباب نظرتْ

تخيَّلتْ هذا الجسد واقفاً فأدمعتْ

رأى أهله، أصابهُ الحزن

وكلماتهُ تقطعتْ

ونفسهُ - إلى بدايةٍ جديدةِ - تطلعتْ

لكن حالتهُ مستعصية، وأوضاعه منعتْ

يا إنسان، لتكن فيك الإنسانية

ودعك من الأفكار الشائعة

دماءك لن تكون ضائعة

بل ستكون عونًا

لأرواح مقاومة ومصارعة

تريد البقاء

رغبةٌ من القلوب نابعة

ولك الأجرُ من فوق السماء السابعة

تخيَّل نفسك مكان ذلك المريضْ
لا قلب يشفقُ
ولا عينَ ترى
ولا يد تنفقُ
ولا لسانَ يسألك ما جرى
وقلبك في حزنٍ يخفقُ
كيف سيكون شعورك يا تُرى؟

ما أوفره في أجسادنا، وما أغلاه
ذلك الذهب الأحمرْ
سواء كان من الأبيض أو الأسمرْ
أعطى حياة جديدة وأثمرْ
أنقذ مريضاً، وأسعد قلوباً عدَّة
يا إنسان، بالتبرع ارضى
أنظر إلى ألمِ النظراتْ
في عيون المرضى
ولا تبخل بتلك القطراتْ
التي في بعض الأحيان تتساقطُ أرضَا
وهي تُساوي الحياةْ.

أنا إنسانيُّ الهوية

أنا لستُ عربي ولا أعجمي

أنا إنسانيُّ الهوية

إنسانيُّ العلم، إنسانيُّ المعجمِ

أرمي القوت إلى الطيور.. وتثقُ بي

دونَ أن تفرَّ خوفاً من الانفجارْ

وأسقي الأشخاصَ والأشجارْ

أُبْعِدُ عن الطريق الأذى والأحجارْ

وأبتاعُ طعامي من التُّجارْ

أساعدُ بما أملكُ

أساعد الغريبَ والجارْ

آنا لستُ عربياً ولا أعجمي

أنا إنسانيُّ الهوية

إنسانيُّ العلمِ، إنسانيُّ المعجمِ

تقولُ النفسُ لنفسها

لا خطيئةَ تستحقُ أن تُقتلي وتُرْجَمي

لما تسأل عن انتمائي؟

ما دمتُ لم أفعل لك شيئاً

ولم تشهد تَهجُمي

فلا تقلْ للكلمات تَلَجَّمي

من منحك الحقَّ لأن تحيا وحدكَ؟

حتى تحذر الناسَ وعدكَ

أنا لستُ عربياً ولا أعجَمي

أنا إنسانيٌّ الهوية

إنسانيُّ العلمِ، وإنسانيُّ المُعجمِ

وأصرخ فروا إلى الحياة

فإذا قال الوفد المستجيبُ

صغيرةٌ أحجامي

يعودُ الصمت لإلجامي!

طفولتي تكون خلف العيون

طفلُ آنا، العبُ بالألعابِ

وأدحرجُ عربتي،

تقفت أقدامُ الكبارِ

بأعينٍ حادةٍ تنظر إليَّ

بأقدام ثابتة على التُّربةِ،

يقولونَ: لا تلعبْ!، وانهضْ!

كُن مهذبْ، واجلسْ في مكانك!

ونظرتُ بحزن إلى ربَّتي

وفجأةً يقولون؛ جاء وقتُ العمل

انكتم لعلَّ كُربتنا تزولُ

قلت في داخلي: أنتم كُربتي،

أكبرُ في حزنٍ وحرمان

وفي ذاتي زادت غُربتي

طفلٌ أنا، ألعبُ بالألعابِ

وأدحرج عربتي

في الخفاءِ، في الخلاءِ.

وفي عجلةٍ أكل طعامي

أحتسي شُربتي .

وفي الخفاءِ، في الخلاءِ

أفرغُ غضبي وأجربُ قوة ضربتي!

أعودُ متعباً، منهكاً

وأنامُ بين ذراعِ أمي وربَّتي.

رفقاً بكل قلب يخفق

أيا بؤساء لا ترجون بئسي
فقير أنا وأترك حقَّ نفسي!
يا إخوتي لا تقولوا
كلاماً قد لا يزولُ
حتى مزاحاً يؤولُ
بالذاكرة قد يطولُ
أينظر من يُلامُ إلى السعيدِ
بلا غضبٍ وحقدٍ من بعيدِ
يقارنُ في نصيبه من عبيدِ
شعورهُ نارُ كاليومِ الوعيدِ
أرفقوا
فأنا من كثرةِ سخطي
أكثر مما أغضب تراني أشفقُ!
ومن ثقل عُسري ما أمتلكه.. أنفقُ!
ومن غزو الضعف والفتورِ
أتسامحُ، أتساهلُ، وأتفقُ
أسيرُ في خُطايا بما لا أرغبُ
وكالعطشان، إذ عطشتُ
أحفظ ريقي وأنغبُ
أرفقوا بكل قلب يخفقُ
فأنا كنت لأضيّع نفسي
مُثقلاً بأوزارِ القدمِ

ومُحمَّلاً بطموحات الآخرين

أواجه التقلباتِ الآنية

ولا سعة للهو في عيني

ولا أتخذُ من الحيطانَ مَبْكا

أصيرُ كما تصيرُ الحياةُ،

صراعاً، وتوجهاتٍ بلا حبكة

أتخبَّطُ في عرض المعضلاتُ

تُقدَّمُ إليَّ المكرهاتُ

وأمنعُ من المفضلاتِ

من سأُحَاكي؟

هذا يهتم بالأقاويلِ

هذا يهتم بالعملاتِ

هذا يهتم بالعضلاتِ...

الصمتُ أخر ملجإٍ لنا

الصمتُ أخر ملجإٍ لنا
فقد أتعبنا الحديثُ
كما أتعبنا الطريق سيراً
على ما سنتحدثُ؟
على استهزائنا من حياتنا
أو على التفاؤل خيراً
ومع من سنتحدثُ؟
مع من يحركُ رأسهُ
أعلى وأسفلْ
أو يميناً ويساراً
مع من يقول: نعم ولا
بالنسبةِ لهُ ما من مهربٍ أسهلْ
ونحنُ نصدقهُ ونأخذهُ مِعياراً
الصمت أخرُ ملجإٍ لنا
جدرانه توصل الصَّوت لنا
لكنها لا تُرجعُ تردُّد ما يُقالْ
عَكس الأماكنِ الفارغة
أو القممِ، إن هي تصدَّعتْ
من الصُّراخِ والجدالْ!
فاختارتِ التجاهلَ
حتى لا تنهارَ وتُغتالْ!
إن جدرانه مسكننا

وإن أخرجنا البشرُ منه

فإنه يمنحنا الظلالْ

من حرارةِ الجدالْ

ومن أمطارٍ ملوثةٍ

هي أراء النفاقْ

ويخفون كرهً وحقداً

ويظهرونُ الاتفاقْ

لا يهمُّ وجودهم

لكن الحياة جعلتنا رفاقْ

يضربون بأسلحتهم

ويسألون بكل وقاحةٍ

هل أصابتنا؟

لما سنتحدثُ؟

إن كانت لغتهم أسلحةً

ورصاصاتها أجابتنا.

أيام مبعثرة

لستُ أسخرُ من هذا الابتلاءْ
بل على العكسِ
ولستُ مسروراً
في عصر النكسِ
ولا أحسِنُ تفصيل الثوبِ المثالي
فما فائدةُ تصميم الأثوابِ؟
إن كانت لا تكسي!

أعدُّ النهار يوما ولا أحياهُ
أحيا الليل ولكني لا أراهُ
إذ كما قيل؛ موعد الأخطارِ
فسحتي، وغدائي، وعشائي بلا وقت
وإفطاري؟ غالباً لا أتناولُ إفطاري

أُقبلُ على أملٍ متماسكٍ
وأعودُ في حالة انشطارٍ
تحرقني الشمس ويرهقني الحرُّ
أتجمدُ برداً وأتبللُ بالأمطارِ
أحتضن الوباء من التشرُّدِ في الأزقة!
فماذا للأعشاب، وماذا لدى العطارِ!
فالدواء أغلى من الحاجياتِ
وأنا إلا متسكعٌ على الحديدِ والخشبِ

في البيوت والمعامل والشوارع
لست حرفياً ولا أنا من الشطارِ

ملَّتني الجدرانُ الواقف معها!
والكراسي التي اعتدتها
من طريقي تبرَّمتْ
والأزقة المظلمة فضحتني
ومن رفقتي لها تدمَّرتْ
أسير بلا وجهةٍ وبلا توقف
لا مكان يُنادي خاطرتي
ولا نفسَ إليَّ تكرَّمتْ
أُشارك نفسي مشاكلي!
نناقشُ جزءاً من الانكساراتِ
والأزمات التي تعرَّمتْ
أنبش لعلي أجد جمال حياتي
فهي بالظلمة واليأس تخمَّرتْ
فبعد أن فقدتُ روح الدعابةِ
عشيرتي تخلت عني، وتأمَّرت.
كل جزئياتي في الحزن تسمَّرتْ

الرجاء الأبدي

تهيئة لي الحياةُ امرأةً
وجلست أتشبَّبُ
أُضاجعها تارةً وتارةً أملُ
أهيمُ وأنا أتطلع في تفاصيلها
دون أن تلمحني
فأغازلُ لعلي أتحبَّبُ
وأعودُ كل ليلةٍ من عملي
مُتوعكاً أو مُدركاً
أن عملي لا يتسبَّبُ
في تغيُّرٍ ولا يروي عطشي
وكنتُ أمنّي النفسَ
أن أكونُ شُعاعاً يتوغلُ
في زرقةِ مُحيطٍ يتضبَّبُ
انتظرتُ زرعاً وبساتيناً
من الحياةِ، وتخيَّلتهُ مطراً
هذا العرقُ الذي يتصبَّبُ
وما جنيتُ من تعبي
إلا حزناً يتعالى ويتقبَّبُ
يناديني من حينٍ لحينٍ
وكأنه عبادةٌ أُلبّيها
إلا أني مع كل استيقاظٍ
للأحزانِ أتأهبُ وأتلبَّبُ

الذاتية

توقَّعوا أني سأسير خلفهم

على نفس الخُطى، ومن نفس الباب

لكن فضلتُ الباب الخلفيّ

على أن أكون تابعاً في الخلفِ

مستقلاً.

أنا لست فِعلاً يطوع للصَّرفِ

فأنا يا سادة لست رسالة

ترسلونها للمستقبل الذي تحبون

في أقربِ بريدٍ، وأقرب ظرفِ

وقفت مُعارضاً، وقلت لا

فاستغربوا لأني الوحيد الذي تمردت

واتهموني بخيانة العُرْفِ!

بل ما شفعتْ تبريراتي

كأنما ضُربوا على آذانهم

ليلاً ونهاراً كأهلِ الكهفِ

لكن صارحتهم، في وجودي

إن لم أكن فيه المعنى

فلن أكون حرفاً للعطفِ

لأكمل معنى عاداتهم التي بلا معنى

بدائية الأفكار ومسيرةً من خوفِ

سأبدعُ ما أتناولُ من حضاراتِ

وأحتسي أفكارَ الذاتِ

هائجونَ.. منحازونَ

لما التعصُّبُ؟ لما التدخُّل في حياتنا

لي الحق أن أستقلَّ عن حزب العنفِ!

لما يجب أن نكون شكلاً واحداً

أخبرني إذن، ماذا نُعتبر؟ وماذا نُسمى!

ومن أي صنفِ !؟

قالوا كبرت وأصبحت تتكلم،

ولم يسالوا ما فائدة اللغة

إن كان الصمتُ ينوب عن الحرفِ

وافقوا على ما يريدون

وعارضوا على ما لا يريدون

أمَّا أنا فالتَّسلط ألزمني الصمت في زمني

أمَّا أنا مكتوفُ الأيدي بالضعفِ

أطالبُ بالتواصلِ، بالنقاش.

بالحق. لكني في بيتي، ومع رفاق

وفي حياتي، أكون منفي.

وما زلنا لا نجيدُ الكلام، ولا نتكلم

إلا إذا عارضنا أحد أو تمرَّدْ

ولا نتحدث، بل نقوم بالتحالفِ

كم تريدون من الزمنِ؟

لأراكم ذا حكمةٍ وذا ترفِ

كم تريدون؟

ونشق طريقنا في العقود الجديدة من ثالث ألفِ

نقصٌ بداخلنا محفورٌ كالجرفِ.

إن ذاتنا معبرٌ

نجدُ فيه من الإنسانيةِ والشرفِ.

رواية الوجود

وُجدنا كما وُجدت السلحفاةْ
تخرج من بيض الرمال!
لا ترى أمامها إلا الأمواج
فتغرق بحثا عن الحياةْ!
نسير وحدنا في أمواج الغرابة
لا نسألُ، لا نشكُّ، لا نعارضُ
ولا نُغضب الرعاةْ
فنحن لم نصل بعد للمواجهة والمحاكاةْ!
خشينا نظراتِ عيونهم القاسية
التي تركع لها المساواةْ،
فتأخرت الواو وتقدمت السين لتعلن المواساةْ
لكي لا نرمي الكلمات
لأنهم يكسرون أيادي الرماةْ
هكذا درسنا نحن الهواةْ!
وجدنا عراةْ، حفاةْ
وجدنا خالصينَ مثل حليبٍ
مرَّ من المصفاةْ
لا يد تسكبُ روحنا في إناءها المفضل
لا يد رجل، لا يد فتاةْ
لا قدم الطغاة!
نعيش حياتنا بأبسط الأشياء؛ باللامبالاة
بالمجاز، بالمبالغة، بالخيال

بلا اعتراف، بلا مواد حافظة!

نكملُ في علبة المعاناةْ.

تَغيَّر شكلنا من كثرةِ الشدّ والسحب

هل تصلحنا المكواةْ!؟

اضطراب إنساني

يائسٌ ومُغتاظْ
يُربكني اجترارُ العباراتِ
ومحبطاً ألقي بضعَ ألفاظْ
قانطٌ من أحوالٍ ليست تُيسَّرْ
أضحكُ على ما لا يُضحكُ
أحطمُ ما يأتي أمام ناظري
ويصلحُ لأن يُكسَرْ!
يُضجرني من يرث لحظةً
من مآسي الماضي
ونفسيتي ليست تُفسَرْ
مع كل كلمةٍ وكل حادثٍ
تعقَّدُ حساباتي حتى تُعسَّرْ
أين المبشرُ؟ أين الحلُّ؟
لما لا يعجلُ ويُيَسرْ ؟
أهرولُ راكضاً إلى أفقُ نظري
دون أن أجد المهربْ
وما لي مكان للاستراحة
إلا على مقعدي المُكهربْ
ماذا عن استقراري الوحيد؟
ماذا عن الحب؟
فما وجدت لي نصيباً
في شبابي، شبابي المُطوى.

ولا وجدتُ في معاشرةٍ سابقة
المستقرَ والمثوى
ما بها الأيام تأخذُ الأحبةَ
وتهوى السَّرقةَ والسَّطوَ
وحتى الحاضرُ أصبحَ شبيهَ
الماضي المُطوى
وخرجتُ قتيلاً أبدع المراثِ
أسكنُ الكتاباتِ والمراثي
وليس لي إلا لغتي، لغتي
هي النفسُ والمأوى.
أقاومُ الحرَّ وريحَ الصَّحاري
وكيف في وضعها هذا
لا تكتسي الأشواكَ
هي زهرةُ الصبَّارِ!
فما اعتني بها بُستانيٌّ
ولا تذوقتِ المياه العذبة
من السَّد والآبارِ.
ما أنا بعظيمٍ ولا بجبارْ
إلا أنَّ الرياح لا تقتلعني
وأشقُّها كأزهارِ الصبَّارْ،
مندّدًا.. مُتجدّداً
إذا ما قُطعت إحدى طموحاتي
تنمو كأطرافِ الحبَّارْ
أيعذرني الرفاقُ إذا ما قلتُ

أني لستُ بالمُنتجعِ

تأتونَ إليه متى تنتهونَ

برفقة محبّ

برفقة يأسٍ

لستُ أحمل الذي تشتهونَ

لستُ بيتاً يأوي أو فندقَا

تستريحونَ على أحزانهِ

وتأكلونَ بذُور عبادِ الشمسِ أو بُندقَا.

الليلُ والنهارُ تشابهَا

الحلم والواقع تَجابَها

مخطوطاتي .. تُستأصلُ

من يُصلح سماءها؟

من يرممُ تُرابها!

مقطوراتي .. تستقبلُ

المنتظرينَ والعابرينَ

إلى أن تُودّع رُكابها!

ديكوراتي قد لا تستحملُ

فلا يُزيّنها إلا السَّوادُ والحزنُ

والاحتمالاتُ من ينقذُ رِقابها؟

وأحسدُ الغرباءَ هنا

على اللحظةِ التي كسبوا

على اللحظةِ مع الأنا

التي - رَّبما - منّي سحبوا

وإن كانوا معي، وليسوا معي

وإن كانوا مثَّلوا وكذبوا

سيبقى جميلاً هذا ما فعلتُ

سيبقى حادثاً وإن كذباً ظنوهُ

هل لي أن أبدأ من جديد؟

كيفَ أبدأ؟

وأنا ليسَ لي إمكاناتٌ ولا عونْ

كيفَ أبحثُ عن أناسٍ جدد

يوجهِ ليس له لونْ

كيف أخاطبُ القادمينَ

بحسنٍ ورفقٍ وهَونْ

كيف أرى شخصاً

وأنا أظلمَ؟ في عيوني كونْ

فإنَّ رفاقي اليوم

كانوا جُرحاً، أكثر من عونْ

طلبتُ النصيحة، فقالوا؟

كن انسيابياً، كن إيجابياً

فكن .. وكن .. وكن

فأصبحتُ عشوائياً

أصابني الإحباطُ فأصبحت عِدائيا

سقطتْ أسلحتي في طُرقاتي

وفي حروبي، فكنتُ ضعيفاً وبدائياً

بأسلوبٍ.. تستغربُ له الأنظارُ

فظنوا أني، عابثاً ودعائياً

وإنما أتوترُ حينَ تختلف الأجواءْ.

مضطربٌ.. حزينْ

ركعَ لي الحزنُ يطلبُ العفو

أقنعني أن مُناخ حياتي

من دونهِ سيكونُ جميلاً وصفو

فرفضتُ! وأخبرتهُ؛

أنَّ لا أحدَ سيحلُّ مكانهُ إن منحتهُ العفو

فغضبَ ووعدني أنَّه سيُرافقني

ولن يأخذه لا كسلٌ ولا هفو

وها هو وفيٌّ كل الوفاءِ لوعدهِ

يرفضُ الابتعادَ أو حتى الغفو.

يا أيها القادمُ، احذرْ

فقد أكونُ أعنفْ

فقد يكونُ وراءَ صمتي ردٌّ أعنفْ

ليسَ لأنّي سيءٌ، إنَّما أخفيتُ مشاعري

إلى أن أصبحت أكثفْ.

فلم يعد باستطاعتي

أن أتدخل في إنسانيتي.

قبلك كانَ الناس في طريقي حجراً وحُفرْ

والمفقودُ من يدي انزلقَا

ومصيري في مسارِ المجهولِ انطلقَا

ما اخترتُ ولا أعددتُ لهذا السَّفرْ

إنما كلُّ طالبٍ للخلاصِ بالحزنِ ظفرْ

وسرت في طُرقٍ مظلمةٍ مفزعة

قبلَ أن يتهيأ لي الأملُ في الصبحِ الذي انفلقَا

وقبل أن أجدَ نفسي المفقودة

كان الغريبُ في داخلي ابتعد عن الناسِ ونَفرْ

ما اخترتُ، لكن القدرْ

منحني تذكرةً لهذا السفرْ.

والأن عزفتُ عن الكلام وعن الكتابة

ونصبت من الذعرِ

شُرفاتٍ للحريةِ ومجالسَ للكآبة

وانتظرتُ الطليعة. والإنسان هو الطبيعة!

يوماً ما نكون فيه بشراً

سأتحكمُ في الزمن ولو وهماً

وسأضيفُ يوما كل سنة

يوما أكونُ فيه حرا

كما يضيفُ الزمن يوماً

في السنة الكبيسة

يوما أعادلُ فيه الدقيقةَ

بأغلى الجواهرِ النفيسة

يوماً يتساوى فيه العالم

بلا خلافاتٍ ولا تمييز

يتشابهُ فيه المسجدُ بالكنيسة

يوماً نكون فيه بشراً

ونصومُ عن قانونِ الانقضاض

لا مُفترساً.. لا فريسة

يومًا سعيدًا، يومًا من الراحة

حتى نستطيعَ تَحمُّلَ

سنةٍ من الحروبِ والصراعِ

في حياةِ البشر التعيسة!

إنما ضجرتُ

يا من خالفوني

وأعرضوا عني علاوةً

يا من قلتم؛

هجرنا حين تلا تِلاوةً

فما تلوثُ

ولا هجرتُ

إنما ضجرتُ

فما كانت التلاوةُ أكثر تسليةً

ولا كانت العزلةُ تزيدُ حلاوةً

إلا... إلا أني معكم

لا أبصر كما يجبُ

والحياة وكذا عيني

تزيدُ غشاوةً

إن غبتم صنعتُ لكم عذراً

وإن غبتُ قلتم؛

أصبح غريباً وزاد قساوةً

الترقب الأخير

الترقُّبُ، شيءٌ من اليأسِ
وفرارٌ من المُحتملِ
بل رجاءٌ عونهُ يكونُ بالأملِ
و هو اقتناعٌ بإمكانية حدوثِ الحلمِ المكتملِ
الحلم ُالذي يُراودنا على هيئة حياةٍ
بالبيتِ، بالمالِ، بالعملِ
ورفاقٍ وشريكٍ أتبادلُ وإياهم إنسانيتنا
من الحب والخدمةِ والإشارةِ وجُملِ.
بين الترقبِ شيءٌ من العجزِ
والخوفِ يتوهجُ
كلما ابتعدنا واحتلنا عليه
بشيءٍ آخر خفتَ، وخطونا إليه
في الترقبِ سعيٌّ نحو البعيدِ
ورهانٌ على المفاجأة.

الآن ما آن

الآنَ ما آنْ
ما الأمسُ؟ ما اليوم؟ ما الغدٌّ؟
كلها، لها من الساعات نفسُ القدٌّ
الأمسُ قد تركناهُ
والغد ما أدركناهُ
معذورٌ من يفترض ويودٌّ
ولا عذرَ لمن يحيا فيه الجدْ
الافتخارُ لك والحياة لِكلانا
افتخر كما شئتَ
ولا تكن مُتسلطًا وفدْ
لا تفض غضبًا
إني من نسل الأرضِ
فلا تغرقني تحتَ هذا المدٌّ.
إن رأيتُ العمق
فلا احمرار عين يُساعدني
ولا صفعةً على الخدْ
الآنَ ما آنَ... الآنَ ما آنَ
أرضنا لها إخوة وشمسنا لها إخوة!
وقمرنا الوحيد له إخوة!
نتساءلُ، أفي المجرات وبينِ النجوم
هل آهلةٌ الكواكبُ أم الأقمارْ؟
أيعرفون علومنا؟ هل لهم حضارة

ويعرفون ـ هم الآخرون ـ فنَّ المعمارْ
أيحلمونَ بالخلودِ أو يكتفون بالوجودِ؟
أيكبرون أم لا يهتمونَ للأعمارْ؟
الآنْ ما آنْ.. أنا الإنسانْ
أسابقُ الوجودَ لأفهمه
ومن الأرض إلى الكون نقلتُ المضمارْ
الآنْ ما آنْ... أنا الإنسانْ
أعودُ إلى الأرض، إلى موطني الأول:
أنقبُ عني، وأنا ممتزجٌ بالأرضِ
أفحصُ وجودي، وتاريخي، في عظامي
أدرسُ جدرانَ مسكني الأول
لأتأمل نقشي القديم، وأستعيد ذاكرتي
بما فيها من مُعاداةٍ ومُطاردات
من أناشيدٍ ومعتقداتٍ وعباداتْ
من تعايشٍ ومساعداتٍ ومُعاهداتْ
لأتذكر أول نموذجٍ لنظامي!

اغتالنا الروتين

هُنا، اغتالنا الروتينْ
عُملاء نحن في الروتينْ
عبيدٌ نحن لهذا الروتينْ
أين المفرُّ؟
نحترقُ مع السجائرْ
ويستعمرنا النيكوتينْ
نعرف الحبيبات
ولا نعرف الحبَّ
دون أن نهدي قلبنا
نقدّمُ زهور وهدايا الفالنتينْ
نفرُّ إلى الرياضة
إلى كمال الأجسام
وما قوتنا إلا بروتينْ!
من يضمنُ لنا، أننا سنعمّرُ طويلاً
مثل أشجارِ الزيتونْ؟
من يضمن لنا، أننا سنعطي بسخاءٍ
كما تثمرُ أغصانُ التينْ؟
لم نعد ندرك الوقت
ولا نصافحه عندما يمرُّ علينا
اغتالنا هذا الروتينْ
ونحن نتغيَّرُ والروتين يتغيَّرُ
لكنه لا يرحل في العشرين

ويتعبُ معنا في الأربعين

ويمشي معنا في الستّينْ

اغتالنا هذا الروتينْ

وما إن يدخلُ شيءٌ بيننا

ويُفرقنا، نعود للبحثِ عن بعضنا

لا نحبُّ الروتينْ

لكن شيءٌ ما نحبه فيهْ

وربما لم نجد شيئًا نحبُّهُ في حياتنا غيره

شيءٌ ما يجعل بيننا وبين هذا الموتْ

علاقةً شخصيةً ورابطًا متينْ

أصبحنا أصدقاء الريموتْ

وإخوانًا للهواتف والحواسيب

فأين نحن في زمن الروبوتْ؟

لا حياة متوازنة

لا شهوات منتظمة

لا تتغذى إلا عندما نجفُّ

كالآلات عندما تجفُّ من الزيوتْ!

حتى الشارعُ أصبح فسحةً للصمت

قبل العودة إلى الروتينْ

عَلِقْنا بين الأسلاك والكهرباء

كما تَعْلق الكائنات الصغيرة

في شباك العنكبوتْ!

صدمة

مُتكأً على الجدار مصدوماً

شعرتُ بأني مذمومٌ

حتى أقرب الناس كلموني غضباً

حتى تهيأ لي أني منبوذْ

لم ُأطالب بشيءٍ، سوى أن أجدَ ذاتي

في الذي من عهدِ الأسلافِ مأخوذْ

في طريق البحث سُلبت مني حياتي

ووقفوا ضدي الأقارب والغرباء

وما علمت أيُّ أقدارٍ جندت لهم نفوذْ

متكأً على الجدار، مصدوماً

شعرتُ بأني مذمومٌ

لا حيلة لي، سمعت أعزَّ ناس يقول؛

- لا أريدُ رأيتكَ دُنيا وآخرَة -

ضحكتُ حد البكاءْ

وبكيتُ حد الضحكْ

من ألمِ هذه الحياة الساخرَة

لا خبرةَ ولا مالْ

لأطالب بحياةِ الاستقلالْ

قُدرتي ما تزال مُتأخّرَة

لململت شظايا طموحاتي

لأُشكّلَ بها تُحفة الذاتِ

لعلي أشتري أحلامي الفاخرَة!

متكأً على الجدار.. مصدوماً

شعرت بأني مذمومٌ

بلا حراكٍ.. أحاول أن أستوعبْ

وقبل أن أستوعبَ

رأيتُ استقالة الوَعيّ

رافضاً مناقشة أساليب الرَّعْيّ!

متكأً على الجدار .. مصدوماً

شعرت بأني مذمومٌ

إثر سماعي كلاماً بلا رحمة

جعلني بلا طموحٍ ولا سَعيّ.

فما هذا إلا

أصغي إلى العصافير
إنها تحمل عزف أغنيةٍ
من أغاني الطبيعَة
وأتأملُ صوتها الرَّنان
واختياراتها الرفيعَة
كأنَّ مقطعها كلامٌ من السجعْ
أنظرُ إلى البحيرة
إلى اللقلاق والبجعْ
أُلامس أوراقَ الأشجارِ
وأسترخي في الظلالْ
وأنسى الوجعْ
أسمع تدفق المياه
وأرى جمالاً كان في كل مكانٍ
لولا توالي الجشعْ
أتأقلمُ مع الهدوء
وأخذ دقائقًا لأسجل الدلالاتْ
بعيدًا جدا عن مدن الركامْ
بعيدا جدا عن بيوتِ الزكامْ
أعيشُ في زخرفةِ ريش الحمامْ
وأحلّقُ بأعيني مع سرب الحمامْ
أنظر إلى نظافة الأرضِ
وجمالِ الحيوان القمَّامْ

أمشي ولا أنظرُ إلى الخلف
فجمالُ ما في الأمامْ
يجعلني كمن وضعوا عليه الغمامْ
أنظرُ إلى الغزالِ
ونعومةِ فروه الملوَّنْ
أنظر لالتواء قرونِ الوعل
وأدونُ ما لا يدوَّنْ
فما هذا إلا حلمٌ
والواقعُ كابوسُ الكابوسْ
أضعُ عقلي في واقعهِ
كما توضع الشمعة داخلَ الفانوسْ
وأقرأ واقعي من حيث لا يُقرأ
ولا أختارُ فيه إلا القاموسْ!

عودة بين التعب والتأمل

عدتُ على غروبِ النجمِ
أرافق ظلا، يكبرُ شيئًا حجمي.
عدتُ حاملاً ثقلاً يفوقُ حجمي
أعدُّ ألوان الغروبِ في سيري
أنسجمُ بالبنفسجيّ والبرتقالي
أتخيَّلُ أنَّ السماءَ لوحتي
واعتبرُ البرَّ مَقالي
أتخذُ الأرضَ كمسرحٍ
وارتطامُ الهواء إيقاعًا من موسيقى
وأرقصُ بين خطوات انتقالي
تنظرُ إليَّ العيونُ مستغربةً
تتسألُ عن تصرُفي وعن أصلي
وترفع الأصابع وتتهمني بالجنونِ
ويتمُّ فصلي من فصلي،
وتنتهي الحكاية باعتقالي!
صرَّحتُ بأقوالي لهيئة الفنونِ
فرفعوا عني تهمة الجنونِ
ولاقاني الليل باسماً وقمرهُ
ورفرفَ جسدي كما شعورهُ أمرهُ
فاستغربوا وتسألوا عن تصرفي
ورفعوا الأصابع يتهموني بالجنونِ
قلت لنفسي: ما بهم ألا يفرحونَ؟

ما بهم لا يسألوني؟

كانت تكف الظنونُ عن الظنونِ.

فأفرُّ من أمام الأبصارِ

إلى فراش التعبِ فرارًا من حملي.

فراشي الذي تقعَّر بعضهُ وارتفع بعضهُ

متخذًا شكلَ كثبانِ الرملِ

أنا متعبٌ من يوم مرَّ

وما نصرني فيه أنصار

وما اجتمع فيه شملي.

سرتّ فيه وحيدًا بين الشجر

دون أن أكوّنَ جماعةَ نملِ!

تسرُّع

صَدَّقتُ أني كبرتُ في أشهرٍ
واختبرتُ سفينتي في أنهرٍ
وحسبتُ أني بحَّارٌ في الأعماقِ
في بدءِ التجارب، وأولِ تمظهرٍ

وما إن استقريتُ على قدميَّ
عدوتُ مسرعًا إلى أن نهجتُ
وعرفتُ أشياء.. ما عرفتها قبلاً
فتحمَّستُ وظننتُ أني هكذا نضجتُ
وقبل أن أحصل على الدفء، جمعت الصُّوفَ
واكتسيتُ بالسترةِ الممزقةِ التي نسجتُ

صَدَّقتُ فقابلتُ القسوةَ بالقسوةَ
وما رأيته فشلاً، ما كان في ضجَّتي
في لحظةِ تيهانٍ، كانت الهرولةُ حلاًّ
أوليس كذلك؟ وبئسُ الحالِ، كان حجَّتي

أَخْلَصْتِ يا حياةُ في ردعي
بردعك لي أدركتُ تسرُّعِي
فيما كان لينفع الندمُ؟ لولا العقباتُ
كنتُ تماديتُ، وما كان أحدٌ سيقبلُ تضرُّعِي

أتركني لي لأعرفني

أُتركني لي لِأعرفني!
وأخِّر اجتماعنا
إلى أن أصادف السكينة
فلا أجدُ مصبَّ الأنا
من أيّ سلالةٍ انحدرتُ؟
أو الأنا كحاضري هجينة!
أتركني لي لأعرفني
وأخر توظيفي لديكَ
إلى أن أُسرّحَ الأنا السجنية.
محتجزٌ بين الوجوه ُوالأقوال
كما لو كانت حياتي معبداً فرعونياً
وما خلد فيها إلا بعضُ الرسومِ والنقشْ
وأنا داخله، أرمّمُ هذه، وأخفي هذه،
وأفسّرُ هذه، ومن يأتي يُفسروني!
وأنا مستغربٌ مني في دهشةٍ وجأشْ
أتركني لي لأعرفني
فأنا أحاول تفسير بحرٍ شاسعٍ
ولا أملك قارباً ولا سفينة!
أحاولُ أن أرصد حضارتي الغارقة
فكما يقال مدنٌ قديمة وكنوز
في عمقِ البحر دفينة
فلربما هناك لعنةٌ أصابتني!

إني لا أحمل كرهْ ولا ضغينة
وإنما أفتقدُ شيئاً ما
من حضارتي الغريقة،
وإلا ما كانت الحياة تصبحُ لعينة!
أتركني لي لأعرفني
فمِنْ غير تأملي ومعرفتي
لا شيءَ في حوزتي
أرى الطحالب على الموجاتِ
والصَّدَف مُستلقي على الرمالِ
والنَّخلُ، وأتأمل وجه الجوزةِ
ومن غير عيوني وإرادتي
ما قدَّمتْ شيئاً إفادتي،
لا شيءَ في حوزتي
أتركني لي لأعرفني
إن كنتُ لا أعرف
فلا بأس يا أستاذة.. ويا أستاذْ
كل الناسِ سواسية ويدركونْ
وإني أشاركُ كل شيءٍ
ولا أحبُّ الترفعَ والاستحواذْ
أنا.. وأنتَ.. وأنتِ، محاولون
والمخطئ فينا عاد وستعاذْ
أتركني لي لأعرفني
لابدَّ أن يسير الإنسانُ وحيداً
إلى أن يصل إلى المُنتدى

ومن لقائنا يبدأ المبتدئ

وإن لم تفهم بعد، ماطلْ قدر المستطاعْ

حتى لا يكونُ الخير مُعتدي!

فمَن زاد النَّفس فراراً اعتدا

وهل لك من حق

أن تفسدَ مسيرةً

فيها من عانى ومن افتدى

والناس إن تلحق بهم تتوه

فكلٌّ منهم وبمَن اقتدى

وهذا يشتبهُ بذاك ويمثلهُ

وهذا يحبُّ ذاك ويرتدي ما ارتدا

فلا عليك، فإن التسامحَ والتأمُّل

كانوا من مبادئ من أحبَّ الحياة واهتدى.

انكسار عملي

يحيرُ البصر في ما ينظرُ
لا الكلماتُ ترضى أن تأتِ
ولا الفكرُ بالرجاء يحضرُ
أبصرُ صدمة في الاستهلالِ
العينان.. تتابعانِ، تدورانِ
في الدَّمارِ والوجوهِ
وما تطلعتْ بعد
في من يعدلُ ويُنضرّرُ
مستقرٌّ في محلي
(ليسَ هناك شيءٌ لفعله)
ولو كانت أرضٌ قُربي
لكانت في سُكوني تَخْضَرُ
انتهزتُ الفراغ وسألتُ
ماذا يكون هذا التشاؤم؟
أ لابدَّ من هذه الدَّناءة؟
عادتي أتحفزُ لما سيأتي وأتحمسُ
وأنسى أن الرَّاغب يتكبدُ العناءْ.
صِدقًا، مبتغي الشيء تاركهُ
فالحالُ قبلَ الشيء يُدركهُ
انكسارٌ عملي
لا حيوية للخاطرةِ المكسورة
ولا فكرةَ لديَّ

إذا كانَ قد تبقى لي الوقُت الكافي

لإرجاع طموحاتي للمكتبة

قصد إعادةِ التأليفْ!

أتراني سأشفق على نفسي؟

أم أستبدُّ وأزيدُ عليها التكليفْ؟

لم أجد المستقبل بعد

لأحصل على الإجابات

إلا أني أجد متسعًا من الوقت

في شرودي في ذكرياتي

لأُجاملَ فرواً بيدي ويخربشني

في لعبهِ ذاك قطي الأليفْ!

هنا في ألا مكان أنا أكون

هنا، في هذا اللا مكان، أنا أكون
في الصور، وبين الكلمات التي سجلتها
وأخرى دونتها...
في بطاقة الهوية، وفي اسمي
مكتوباً أو مذكورًا.. أنا فيه أكونْ
في الأوراقِ، في لائحةِ قسمي
وشخصيةً كونتها في الأذهانْ،
هنا، في هذا اللا مكانْ، أنا أكونْ
في أشيائي، في ذكريات أخرينْ
في الرسائلِ، في الأخر أكون!
في الرُّسوم السيئةِ التي تركتها
على طاولةٍ كنت ُأكتب عليها!
وإن هُجّرْتُ منها في كبري
أقولُ؛ لعلَّ جميلةً تقرأها وتفرحُ
إن وجدت أول حرفٍ من اسمها
ظنَّ بذلك أن عاشقًا من القسم
الأخر .. يعشقها بالسرَّ والرمزْ
يُحفزها، أن تهوى كتابة الأحرفِ
أو ربما تمتهنُ الرَّسم أو الطرزْ!
ولحسن الحظ تداركتُ خُطاي
وكتبتُ الأحرفَ على ورقة
لا أذكرُ من أين جاءت

أهي لأخر. أو اشتريتها
مع الكراسةِ القديمة التي اشتريتها
لعدم وجود مالٍ كافي للإذخار.
تحملني الصدفة.. ليكون الأخر معي
في اللا مكان، في الورقة
التي تقاسمتها معه لأكتب أحرفي
ولكني أخونه، إذ لا استطيع رأيتُ
جراحي في أحرف أحبتي،
لذا رميتها في سلة النفايات
وربما الورقة تعود إليَّ
لعلي نسيتها يوم كتبت عليها درسًا
لأني نسيتُ دفتري قرب التلفاز
أو على حائط.. حين بادلته بهاتفي الذكي
حيثُ كنت أراسلُ بعض الجميلاتْ
وأسال رفيقًا لي؛ ماذا لدينا غدا؟
فأنا مشغول بمجاملةِ الزميلاتْ!
ولا وقت لنا لأسألهنَّ
فأنا أحتكرُ حيزًا من الوقت لأكون
في اللا مكان أكونْ، في حياة الآخرينْ
لا أذكر من أينَ أتت الورقة
لكني كتبتُ عليها جراحاتي
وأسماء مزخرفة تُعود لحبيباتي
ورميتها في سلة النفاياتِ
ورميت معها أمنية بلا شعور؛

أتمنى ألا يجدها أحد.. حتى
"لا يستحضرني .. حيثُ فيها أنا أكون
هنا، في اللا مكان، أنا أكون"
رفيقان قديمان... وثالثهما ينضمَّ
ويسألُ أين هو رفيقنا؟
الذي قبل رحيله كان غاضبًا
يومًا ما سينسانا وننساه
وأننا لديه سنكون غائبين
وهو بنسبة لنا غائبْ
ويقول رفيق بينهما؛ لكنه قال؛
هنا، في اللا مكان، أنا أكون.
وها هو الآنَ معنا
وإن باسمه وإن بصفاته وإن بأخباره
كيف له ألا يكون ؟
نحن نتحدث بمكانه، بأقواله، بأفعاله
ونستهزئُ حينٍ ونتأسفُ حينٍ
نضحكُ بسببه، نتذكر شيء بسببه
كيف يمكن أن نزعم أنه ليس معنا؟
معه حق. في اللا مكان هو يكونْ
وفي اللا مكان نحن نكونْ
ولا نعرف حتى متى نحضرُ
في اللا مكان.. ومتى نحن غائبونْ
هنا، في اللا مكان، هو يكون.

أنا كوكب رحال

آنا كوكبٌ رحالُ
فلا تحاكوني
لا يجذبني الضوء ولا اللهيبْ
ولا أشاركُ الكواكبَ
والكواكبُ رحلتي لا يُشاركوني
آنا كوكبٌ رحالُ
فلا تحاكوني
لا أدورُ في فراغٍ
ولا أنا مثل الكواكبِ في مدارها
لا أخافَ ثقبًا أسودًا
ولا النجومُ تعيدني إليها
إذ أنا كوكبٌ فوقَ مِقْدارها
أجولُ في الكون مكتشفًا
لا مثل الأجسامِ المحيطةِ
في إهمالها وإهدارها
لا أعلم - حتى - متى وهي تدورُ
لربَّما منذ تكوينها وإصدارها
آنا كوكبٌ رحالُ
فلا تُحاكوني
أمرُّ بين معالم الحركة
هذا كوكبٌ مُعتمٌ وهذا نجمٌ مُحرقْ
وهذا شهابٌ مُنطلقْ

أسافرُ من مجرةٍ إلى مجرَّة
فلا تخافوا عليَّ من الانفجاراتِ
فالكونُ مدهشٌ ما فيه مضرَّة
لستُ حزينا من وحدتي وغُربتي
فما رأيتُ من أقراني
لا يزيدني إلا شغفًا ومسرَّة

مثالٌ عن البصيرة

لا أقتني من النهار ضوؤهُ

لأخبئهُ في عينيَّ لأرى ليلاً

وإنما أستعينُ بالذاكرة الناقصةَ

لأنقذ الغرفة من النُّقصانْ!

أرى الأشكالَ كما كانت

والزوايا أقدّرُ لها المسافاتْ

إلا أني لا أرى لون الجدار

ولا لونَ الدُّولاب وما فيه من قمصانْ

وتباغتني الأشياءُ التي رميتها

وأخرى لم أعدها إلى مكانها

حين كنتُ أركض بتعاظُمٍ

وبتسارعٍ، كما لو كنت حصانْ.

ما فائدة البحثِ عن الكبريت

وعن قطعةِ شمعٍ لم تذُب

منذ شهورٍ خلت، ما الفائدة ؟

لقد جفَّ القلم وماتْ

ودُفن معه التعبيرُ والتفسيرُ

من سينقذ النصَّ الذي كُتبَ أو نُصَّانْ؟

من سيكتبُ نصاً جديداً ؟

الظلامُ خيَّمَ، كيف ستكتبُ؟

والكتابة أصبحت قرصنة

والكاتبُ الذي يدخل بِحَّاراً يخرج قرصانْ!

الأقدامُ تدهسُ ما في طريقها
والأعينُ تبحثُ عن الكتابة
عن طريقةٍ لحياةِ حياةٍ بلا نُقصانْ!
لم نعتد على حياةٍ بلا إرشادْ
نقاتلُ من أجل المقتطفاتِ والنصوص
عندنا الحياة بلا كتاباتِ لا تُصانْ.
والواجباتُ والإجاباتُ
والاضطراباتُ والإصاباتُ
بلا كتاباتٍ لا تُصان، لا تُصانْ.

إلى أحدهم

لا تحسبنَّ نفسك من سُحبِ السماءْ
متى شئتَ ترويِنَا
فقطراتُ أفكارك لا تُغني المحاصيلْ
لا تصنعُ - أدمَ - ولا تُحيِّ - قابيلْ -
إنما لنا أفكارً تخرق ِالورقة
وتفيّضُ الأقلامَ باكية
لكنها أفكارٌ ترفضُ التدوينْ!
كلماتك كأول أيام أبريلْ
لا تحرّكُ خاطرةً
وكلماتنا تهتزُّ لها التماثيلْ،
تتصدَّعُ، تتلاشى أجزاءٌ منها
ولو كانَ لها دمعٌ لرأيته يسيلْ
أتحسبُ أن التِرياقَ
سهل الصُّنع والتكوينْ؟
لا أحد يطمح في كتابة - إنجيلْ -
وشرح، وطرحِ... التفاصيلْ
نحن هنا وإن لم نكن هنا
نتركُ الكلمات، دليلْ
لا نأمرُ، لا نعاقبُ، لا نُراقبُ
نحن رفاقٌ إلى الموت
وسنمرُّ في حياتك بلا عراقيلْ
ولا تهتم إن كنتَ ستموت

على يد سفَّاحٍ قاتلْ

أو عن خيانةٍ من أحد أعضائك

أو ربما سيأخذك ـ عزرائيل ـ

أنتَ كما أنا،

لا أقول: إنّي مفتخرُ،

وإنما أنا لا أقولها

وأنتَ تزيدها تنوينْ!

حظي

وتعبتُ من حظي، يُصنَّفُ قاصرًا
على أن يُصنَّفَ حظَّ
يُغضبني
وغضبي، وإن استعرَ لهباً
لا يلقّبُني سيئًا فظَّ
حظي، يستقرُّ في القعرْ
يبحثُ عن توأمِ روحه
في وجهٍ وخصلاتِ شعرْ
يشتري آمالاً وينسَ
أن يساوم على السّعرْ!
ويُخلّفني خلفهُ مُتشرّدًا
ضعيفاً في دربٍ وعرْ

حظي من رجاءِ الفرصِ،
لغرضٍ، لنزعةٍ للأرقى
يُوهمُني بنعيمٍ غربًا
أو يناولني دعوةً شرقًا
تلك نزعتهُ مع من يشبهني
يتعبُ من حالهِ ويشقى !

حظي، هو جهدُ آخرٍ يصبُّ في جُهدي
الذي من ثباته تصلَّبْ

ولولا انتظاري للآخرِ، كنتُ
اعتبرت أنه في الفشلِ تعلَّبْ
انتظرت طويلاً، وأنتظرُ
ولا شيء يمكنُ فعله إلا الانتظار
مهما أخذ من الوقت وتطلَّبْ
جهُدي يتقلَّبُ مع كل غريبٍ
وربما جهدُ الأخرِ كذلك تقلَّبْ
وربما الذي انتظرهُ، فشلَ
هو أيضاً، وجهدهُ تصلَّبْ!

حظي، رميةٌ بلا طريدَة
وأخبارٌ مبكرةٌ عن نجاح ما
لم يكتبْ في الجريدة
أو هو.. أو هو هلوساتُ مللٍ
في نفسٍ شريدة
حظي، وهمٌ ذو أَوْجُهْ
لا يختفي حدَّ اليقينْ
ولا هو رزقٌ في أَوْجِهْ
كخفٍّ مفقودٍ يجدُ أثراً يشبهه
ولكنها لا يلتقي ابداً بزوجه

أنظر إليَّ .. أطل النظر

أنظر إليَّ.. أطل النظر

أترى إنساناً في نظرتك التي طالتْ؟

أولم أقل لك؟ نعم لم أقل لك!

لكن ملامحي قالتْ

اسحب قاموسك

راجع كلماتك ودلالاتها

ونفسك وحالاتها

فإن طغت كلماتك ومالتْ

ترى ابتسامةً وكيف زالتْ.

حينها لا تسأل

أين الملامح التي كانتْ

أنظر إليَّ.. أطل النظر

أترى عيونكَ شاباً وصبية؟

أترى رُجلاً وفتاة

ألا ترى أننا نُلخّصُ الحياة

من أولِ صرخةِ بُكاءٍ

إلى صراعٍ من أجل النجاة

والبداياتِ كالهواة

ثمَّ... ثمَّ... بناء أمَّة!

أسرةٌ كثيرة الغصونِ نكونُ فيها النواة

إلى وجعٍ صامتٍ وجعِ الوفاة

أنظر إليَّ .. أطل النظر

واتركني كما وجدتني

لا تكلمني، قبل أن تكون وعدتني

علناً أو سراً مع نفسك

أنك ستتركني كما وجدتني

بلا حدود الخطاطين

أخفيتُ هويتي

فهي تشبه أزياء الهالوينْ

ثقافةٌ غريبةٌ ورأس يقطينْ

رحتُ أبحث عن موطنٍ

ارتسم الإنسانُ في ذهني!

لكني احترت في التوطين!

صِدقاً تعبت فوق التعب

ما في فكري إلا شرطينْ

- أجد نفسي في أرضِ الشياطين!

- أبحرُ في الكون العميق

بلا حدود الخطاطينْ

الشكرُ في الوجود للكتابِ والمترجم

وآلة الطباعة وكل من أنجاني

وأتاني ما أجهل بالمجانِ

الشكر للشعر والرواياتِ

ولكل من أنجاني

من احتمالِ القبح الجاني

بجمال مُسلسلٍ بالذَّهبِ ومزينٍ بالمرجانِ

فأخذت كتابي بيدي كأنه صولجاني

الشكر للعالم والفيلسوف والباحث

ولكل من أنجاني

مرارةِ القهوة في فُنجاني!

كيف تندهش لجهلك لا من جهلك

ولا ترى جمال المهرجانِ

أسوأنا الذي يعطي الأولوية للبطنِ

حتى يصبح أشبه بالباذنجانِ!

فدعني أكمل فُنجاني.

لحظة الغيظِ

قساوتي في الكلام لحظة الغيظِ
لا تتركُ لي في العلاقات من حظي
إذ يقولونَ تأويلات لتفسير طبعي
وينعتونني بالقاسي والفظِّ
ولا يتذكرونَ حسن مُعاشرتي
لكن حين أغضبُ يحفظونَ لفظي!
ويأتي الواعظُ ويقدّمُ المواعظ
فما رأيتُ فيه حِكمًا إلا في الحفظِ
فما رأوا كم فيهم من غاضبٍ جاحظ
لكن رأوا ثوراني عليهم وغيظي!

كفاحٌ يائس

في ريعانِ شبابنا
في أول حلمنا بالعيشِ
سرنا بخطوات غير متساوية
من الجنونِ والطيشِ!
هل أرشدونا؟ هل أخذوا بيدنا
لا، بل وقفوا ضدنا كالجيشِ
كلما التجأنا إليهم، جرحونا
فأهلاً بالوحدةِ والطيشِ

ونحن نميّزُ بين الحق والباطلْ
نواجه فكراً مسيَّراً، وعقلاً عاطلْ
ونحنُ نركض بحثاً عن الحقيقة
يدخلُ فكرنا في متاهاتٍ ويُماطلْ

يقول الكلُّ منا:
افعل ما شئت أيها القدرْ
فأنا أتوخى الحذرْ!
حتى إن وقعتْ
لن أنسى تلك المسافاتِ التي قطعتْ
لن أنسى الحياة التي أمضيتها
والمعاناة التي عشتها
دموعي مطراً مالحاً رميتها!

على قسوةِ الأيام صابرْ

فالحياة دروبْ

فيها اليأس والأملُ

من الشروق إلى الغروبْ

سيصبح اليوم أمسْ

سيحول الصمت إلى همسْ

والهمس إلى كلام

فالرغباتُ لا تنتهي

والإنسانُ مازال يشتهي

لا يوجد فعل بلا أجرْ

إن بعد الغروبِ لابد أن يأتي الفجرْ

من نظرات الناس لا أسلم

منعزلٌ وغاضبٌ، أكتمُ وأكتمُ

يفيضُ غضبي فأشتمُ

ما أفادني هذا. وأنا قبلاً أعلمُ.

أنامُ، فأبتعد عن الحياةِ بلا أحلامٍ

لا حلمَ لي وأنا نائمٌ، فأنا صاحي أحلمُ

وما إن أثق في الحلمِ

ويظهرُ البُرعمُ، أتكلمُ وأتكلمُ

لكن سرعانَ ما أندمُ

إن كانَ البرعمُ

لا يحملُ ثمراً

ومن نظراتِ الناس لا أسلمُ

والكثيرَ من العبرِ أتعلمُ

لكن بعد أن يغزوني ألألمُ

فأتمنى لو ما حدثَ وبالنسيانِ أنعمُ

فإن لم توفي بكلامك بالخيانة تتهمُ

تتكلم الأفواهُ وتقول: أين الذي كنتَ تزعمُ؟

ما علموا أن القدرَ أعظمُ

ومهما تزعم تهزمُ

وإن أنظّمُ وأنظّمُ

فلا أعلمُ ما قد ينجمُ

وما يُحْسَمُ ما كنت أزعمُ

فإنَّ الفشلَ كان للنَّجاحِ أخوهُ التوأمُ

فلا تتوهموا أن كل البدايات تتمُ
فكل الاشياء اليومَ كانتَ قبلاً تُصمَّمُ
وخلف نجاح الأممِ
نساءًا أراملاً، وأطفالاً تيتموا
ومن اغتيلوا، ومن تسمموا!
اسألوا التاريخ يُجيبكَ فهو أقدمُ
إن الحاضر كريمٌ والماضي أكرمُ
فلست أنا الوحيدَ الذي أزعمُ
ولستُ الوحيد في حالةِ ضعفٍ
وإن كنت قبلاً لا أُدْعمُ
قد أتجاهلُ الطعم المرَّ لكن لا يقبلهُ البلعمُ
هكذا لا أصبرُ. كيف؟ ولما؟ لا أعلمُ
ولا أفهمُ
هل أنا بالعظمةِ مغرمُ؟
أو بالإرادةِ مفعمُ
إن كان العقلُ مشوشًا فالقلمُ عقَّمُ
وإن كانت الجماعةُ سيئةً فالوحدةُ بلسمُ
تشفيكَ وتصغّرُ أمامك القممَ
ومع الجماعةِ إن ارتكبت الخطأ تقضمُ
بين فكيّ الوقت وتعدمُ
وترى أحلامك تهدمُ
وبالنهاية تصدمُ
فلا تجد ما يرمَّمُ
ومن راحتك تحرمُ

فتكونُ مرغمًا على تقديم الأعذارِ

لأن البشرَ لا يرحمُ

ولا تيأس فكم من شخصٍ

بوالديه ورفاقهِ وكأنَّه مُيتَّمُ

صارَ وحيدا لكنه صنعَ مبادئهُ وبها مُتيَّمُ

لغز نظرة

ليست قسوةً ولا غضبًا
ما ترونهُ في نظرتي
نظرتي تلخّصُ حسرتي
على المكانِ، على الزمانِ،
على الاجتماعِ، على نفسيِ
على غيابي في حضرتي!
أنا يا رفاق، سجينُ الأفكارِ
وأشعر أن الاجتماع قيدي،
وأنَّ حُريتي في حجرتي!
ربما أنا منكم،
لكن ما ورثُ منكم طفرتي
فأشعرُ بالغرابةِ
لاختفاء الاختلاف في أنفسكم!
وما إن أختلط بكم، أصغي، وإن انتهيتم
لا تغيروا المشاهد
لأخبركم بما يحدثُ في نشرتي
لكن تعشقون الحلمَ
ولا تحبون الرؤى ونُصرتي
أخاطبكم، وتمثلون أنكم معي
ولا تكرهونَ أن أصمت!
أو أن تتسببوا في مضرَّتي
حتى الأرض تشتكي منا جميعاً:

" في الكون آلافُ الكوكب

فما ذنبي أن تسكنوا على قشرتي !؟ "

والغيوم تشتكي:

"أتيت لأسقي الأرض

لما ترشفونَ قطرتي !؟ " ،

الكلُّ يشتكي

وإن ألقيتُ فكرةَ فينا

ستدحضُ فكرتي

وأتهم بنقصانِ قُدرتي

كيف لي أن أكون راضيا؟

أتعلمون لما حسرتي

تغزو نظرتي.

ولم أواصل

رأيتُ شوارعاً ليست كشارِعنا
رأيتُ شجراً أجمل
من الموجود في مزارِعنا
رأيت أزهارا باللون الزهري والبنفسجي
ترقصُ مع تيارات الريح
في ثنائي نموذجي
منظر أراح مزاجي
أخيرُ مما اعتدناهُ من منظر الموجِ!
رأيتُ بيوتاً نائمةً في صمتها
لا أسمع إلا خطواتي
ومرور بعض السياراتِ
آهٍ على حياةٍ تفتقدها حياتي!
أينما ذهبت أصادف الشرطة!
وأشخاصاً يسيرون
لا يسيئونَ ولا يسخرون
يتعاملون بلطفٍ
ومهما سألتهم يجيبونَ ويشيرون
واصلت طريقي في تعبٍ أجمل من راحتي!
إلى أن وصلت إلى وجهتي
مترددًا في الباب وفي الساحَة
فكرت في الطبقية والتفاوت
تخيلتُ نفسي كمن يواجهُ البحر

ولا يجيد السباحَة

في لحظةٍ صدمةٍ لم تترك لشجاعتي مساحَة

ألتفت.. ما وجدت إلا طريق العودة

وفرصة أمامي مُتاحَة!

أدركت أن وقت مواجهتي لضعفي

في هذه الأوقاتْ

تقدمت، دخلت، إذا بي أرى ثلاثَ

نساءٍ حسناواتْ

ورجلٌ حصدَ من العمر الكثير من السنواتْ

وما إن تكلمت أجملهنَّ

زادت شجاعتي مستوياتْ!

أخبرتها بقصدي، وهي تتحدثُ

وأنا أصغي وأحدّقْ، ولا أصدقْ!

بدت كأنها لم تضبط مرادفاتها

كما أضبط أنا مواصفاتها!

ونظراتي لا تفارق نظراتها

شكرتها، ودعتها،

خرجت سعيداً بعد ثلاثِ ساعاتٍ

من السير المُتواصلْ

وثلاث شاباتٍ وحوارٍ فاصلْ

بين التعب الشديد في الشوارع

وأمل بين الكلماتِ والفواصلْ

لكنه ارتدت قسوةً عودتي إليها!

تغيَّر كل شيء، ولم أواصلْ.

طريق الرحيل تنادي

سئمتُ من انتظارِ المعجزاتِ

طريقُ الرحيلِ تُنادي،

الغضبُ يدفعني بأفكارهِ

والشوقُ يشدُّني بالأيادي

زاد ثقلُ الدنيا من شدَّةٍ

حتى ذروةِ الاشتدادِ

وضعُف عِنادي.

يا نفسُ أنرحلُ؟ أو سترتدي؟

سئمتُ البقاءَ وحدي

كل ليلةٍ أرتدي قناعاً

قناعاً أرتدي

قناع ملاكٍ مسالمٍ

أو شيطانَ لا يهتدي!

لكني لا أعتدي،

حتى على أناسٍ تعتدي

سئمتُ الجلوسَ هادئاً على مِقعدي.

طردتُ من حياتي

ماذا تبقى لي؟

ولما سأبقى؟

وأي مصير تبقى؟

رأيتُ في رحيلي مُلتقى

مع الحظ المهاجرْ

بعيداً ـ أنا ـ عن سوادِ النُّفوسِ
وقبحِ الحناجرْ
طُعنت بكلماتٍ كالسيوفِ
وأراءٍ كالخناجرْ
تلطختُ بدماءِ مُحاولاتي
كما يتلطَّخُ القميصُ
تلك آمالي الغالية
سفكها محبطٌ رخيص
وأنا أحلقُ وأغردُ
بأجمل أصواتي
وأقول مُبتسماً
أغني وأنا جريحٌ
وأملي يختلط بالتراب
إن ينمو أو يُدفن قتيلْ
سأغني وأنا مصاب
إلى أن أُلبّي طريقَ الرَّحيلْ

فرغت القائمة

أين هم رفاقُ أيامٍ مضت؟
و من رفاقُ الأيامِ القادمَة؟
رحلوا في الظلام بلا وداعٍ
فما رأتهم عيوني النائمَة
القائمة، كانت شبه مطمئنةٍ
وفي الوجوهُ دائمًا باسمَة
متأكدةً أنها سترى تلك الوجوه
ما دامت الحياة دائمَة
وما إن أردت أن أضيفهم
جفَّ الحبرُ وفرغت القائمَة!
فأغلبُ من يأتونَ أيام، أشهر، سنين،
و يرحلون دون مداومَة
شيدوا نفسي بلادًا للحزن
فاخترت قلبي لها عاصمَة!
بلادٌ لا تفارقها العواصف
ولياليها تكاد تكون سوداء قاتمَة
فأيُّ نفسٍ تتحلى صبرًا
سأجعلها على البلاد حاكمَة
و من أراد الرحيلَ أفتحُ له الباب
وأزيلُ اسمه من القائمة
حتر فرغت القائمَة!
حياتي فوضى متراكمَة

لترتيبها تحتاجُ يدًا خادمَة

ترتبُ حياتي وتسجل كل انتصاراتي

الوهمية، وتضعُ لها الخاتمَة

في أي بلادٍ هي هائمَة؟

وفي اي بحرٍ هي عائمَة؟

لا علم عن اليد الخادمَة

إلا أنّي أنتظرها وهي الملائمَة!

عالم الحسابات

مازال رجائي واحدْ
أن يُخفِّفَ من حزني السائِدْ
أصحي كل يوم على فنجانِ القهوة
وفي يدي الجرائدْ
نظرت العين بتمعن في الجريدة
فما ذكروا إلا الزوائدْ!
فلا أجد إلا جرائم القتلِ
وسرقاتِ المنازل والقلائدْ
لا غرابةَ في وجودِ أوراقٍ
عن حرب الدياناتِ والعقائدْ
عالم الحسابات فيهِ
الأخ يصنع لأخوته الفخاخَ والمكائدْ
من ليس له المال فهو طريدةٌ
ومن له كان الصائدْ
وما لمحنا خيرًا
في أناسٍ يدعون أنهم فضائلٌ شدائدْ
أتركُ المنزل بأملٍ
وأوقعه في الطريق وأنا عائدْ!
فأقرأ قصصَ الأولين لأعيد المجدَ
وأختمُ بقراءة القصائدْ!

رسالة منها لأبيها الميت

كنتَ تملأ البيتَ بنوركَ

كان الحيُّ ينير بمروركَ

وكنا سعداء بحضوركَ

لماذا أنت الآن جسد بدون حراكْ؟

لم أتخيَّل أن اليوم هو آخرُ يوم أراكْ

أين أنت الآن، هل عيوني لن تعد تراكْ؟

أجنبي كيف أستطيع أن أنساكْ!

وأنت من رافقتني،

أحببتني، وصادقتني

شجعتني، والحياة علمتني

وعن تجاربك أخبرتني

في المنام رأيتك

ركضتُ إليك، ومن بعيد ناديتك

التقينا وتكلمنا

لكن نسيتُ من شوقي

أن أخبرك في غيابك كم تألمنا.

أخطأنا ومعك تعلمنا

طلبت منك العودة ولا سبيل لأن تعودْ

لأنك ما عدت في الوجودْ

عندما حملوك الرجال ولاحقتك الحشودْ

بالدموع والدعاءْ

أدركت أنك راحل إلى دار البقاءْ

وأن روحك صعدت للسَّماءْ

ما أصعب الفراقْ

في غيابك حتى الشمس

تطلع باهتةً ولم تُعاود الاشراقْ!

يا أيها الموت أنت لا تدركينْ

من تأخذين ومن تتركينْ

أعلم أنك لا تدرينْ

وعلى الاختيار لا تقدرينْ

لكن اليوم جئت للميعادْ

وكسيتي منزلي ثوبَ الحدادْ

وعالمي اشتدَّ فيه السوادْ...

البقايا من رحم الطبيعة

راهنتُ أني انفلتُ
وانسلختُ من جلدِ البدائية
ولما طَرقتْ الغرائز وبقايا الطبيعة
بابَ الوجودِ.. فُزعت، وأقفلتُ
سخفتُ، هويْتُ.. استفقتُ، اشتهيتُ
فكرتُ، خمنتُ.. وتجرأتُ
وبعد ترددٍ فتحتُ لبقاياي! وتكهنتُ
أنني مُتوحّدُ، مُتجمّدُ، مُتحفّظُ،
وراهنتُ بحياتي أني سأفلتُ بل انفلتُ
وخسرتُ ما رهنتُ
وبعد اعتلائي سنواتٍ تحت الشمس
وحريتي الليلية،.. الآن سفلتُ
كنت أدرك أنها ستعودْ
سيَّجتُ إرادتي.. وفتحت أفق الخيالِ
وأغلقتُ الطرق عليها.. لكن
حنيني إلى بقاياي، غفلتُ
أدعيتُ أني انزلقتُ من الطبيعة
من بين أصابع العملاقِ، الضخمِ،
بعدما سِرتُ بين تفاصيلهِ، أفتش عني
بعدما صنعتُ منه عالمي المثالي
الآن.. أبني سورًا فاصلاً بينه وبيني
وأسمعُ ثقافة لا تسمُح لي بالاعتراف بي

وأخفي خطواتي الحافية بحذاء من جلدِ
الإحدى "الماركات العالمية" وأشيّدُ بيتًا
مفروشًا، لأنسى الخدوشُ على جانبي
من التقلبُ داخلِ الكهف، وادخلُ الكهرباء
لأنسى معاناةِ إشعال النار بالحجارة
ويدي التي حُرقت أول مرَّة
حين حاولت ملامستها! اكتشافًا كعادتي..
الآن أنا متعال، تاركًا خلفي العملاقَ، الضخمْ
أغلقُ جوعَ غرائزي التي تذكرني بهِ
ببعض الخطاباتِ والنَّومِ والتُّخمْ
وأرمي آخر ما تبقى من ذاكرتي
(لأُرْضي ذاكرتي) بين صور حيواناتِ
والأفلام الوثائقية تجعلني أستغربُ
من التشابهِ بين الكائناتِ وبيننا!
وبين جدران صماءٍ لا تشبه الكهوف
والنقوشُ الحالمةِ والصيد الجماعي
وادعيت آني انزلقتُ
من بين أصابع العملاقِ، الضخمْ،
في عالمي الذي كونتهُ منه!
واعتبرته .. السامي مثلي والفخمْ
لا أنكرُ أني قمت بجهدٍ
لكن الأسوأ نكرانُ ما في التاريخ
لما قدمه هذا العملاق، الضخمْ
"لا أخجلُ من التحدث عن الطبيعة "

كتاب على الطاولة

كتابٌ على الطاولة
يناديك، فاتحاً دراعيهْ
ينتظرك، فهل تأتِ؟
قبل أن يغلقوا أحد مصراعيهْ
أدخلهُ من أي صفحةٍ شئتَ
أو استشر الفهرسْ
وعُدَّ أرقام الصفحاتِ
كما تعدُّ أيام الأسبوعْ
أدخل بوابة الزمنِ
أدخل الكتب القديمة
لعلك تُعطي خصوبة
لأفكارنا شبه العقيمة
كتابٌ على الطاولة
يناديك اقرأني يا صديقْ
إنّي أحمل لك أفكاراً عظيمة
إني لا أرضى لك يا رفيقْ
كما يرضى أغلب الناس لأنفسهم
الذُّل وتقبُّلَ الهزيمة!
اختر أي جيش تريده وأي سلاح
اختر الحضارة والمملكة
إني مهربك الوحيد من الانحطاط
إني طوق النجاة

اعتبرني المسلك

أداوي الحرف إن كان في حُروبك

أصابهُ التشاؤمُ والعطبْ

أعيدُ روح الذات إن ضاعتْ

بين الأحاديث والخُطبْ

اقرأني فإني أعيدُ زرع الشجر

بعد أن تحول نصفه فحماً

ونصفهُ حطبْ

كتابٌ على الطاولة

مفتوحٌ للجميع، أمام الجميع

ولا أحد يقرأْ

الكتاب يقلّبُ صفحاتهُ

لعله يجذبُ الأنظار!

ولا أحد يقرأْ

الكتابُ لفظ أخر تفاؤلٍ له

لا أحد يراهُ، أو ينتبه

لا أحد مستعدٌّ لأن يقرأْ

ويبقى الكتابُ على الطاولة

ويبقى حالنا على حاله

ولا جديدَ يحدثُ ولا تغيير يَطرأْ

الفهرس

أمشي ضاربا في الحجر..4
حلمان: الطائرة والحبيبة...9
الامتنان للأم 11
هكذا جاء في نصوص التعايش...13
تشتعل بي نار وتتصاعد..16
كسور ليست لها جبيرة...18
الرافدين...21
عراقيل...24
طفلة بأعين من دموع...27
الذهب الأحمر..30
أنا إنساني الهوية...32
طفولتي تكون خلف العيون...34
رفقا بكل قلب يخفق..35
الصمت أخر ملجأ لنا...37
أيام مبعثرة...39
الرجاء الأبدي..41
الذاتية..42
رواية الوجود...45
اضطراب إنساني...47
يوما ما نكون فيه بشرا..53
إنما ضجرت..54
الترقب الأخير..55
الآن ما آن..56
إغتالنا الروتين..58

صدمة..60
فما هذا إلا...62
عودة بين التعب والتأمل..64
تسرع...66
أتركني لي لأعرفني..67
انكسار عملي..70
هنا في اللامكان أنا أكون..72
أنا كوكب رحال..75
مثال عن البصيرة..77
إلى أحدهم...79
حظي...81
أنظر إلي، أطل النظر..83
بلا حدود الخطاطين..85
لحظة الغيظ...87
كفاح يائس..88
من نظرات الناس لا أسلم...90
لغز نظرة..93
ولم أواصل...95
طريق الرحيل تنادي..97
فرغت القائمة...99
عالم الحسابات...101
رسالة منها لأبيها الميت...102
البقايا من رحم الطبيعة...104
كتاب على الطاولة...106
الفهرس..108

وللإنسانِ قُلْ أشدُو
فَمِنْ كُنْهِي أنا أَدنُو
أَ فُلْكٌ توقِفُ الإبحارْ
بحرٍ عندما تَرسُو !؟
داوماً فيهِ ذي تطفُو.

بماءٍ، حادثُ النّيلِ
بإنسانٍ، فإنّي لِي !
تناهى طوعُ نفسي لِي
توارى جَوهَرُ الجيلِ.

وإنَّا واحدٌ وِجْدَا
ولكن ليسَ ذا حدًّا
لنا ذا مَبدأً - وِدًّا -
وحُرًّا ليسَ ذَا سدًّا